

المحاضرة العشرون

المثبتون على الاضداد

المثبتون للأضداد هم كثر يجلون عن الحصر . ومنهم من عنى نفسه بالرد على منكري الاضداد . ومن هؤلاء ابن الانباري الذي يقول في كتابه (الاضداد) : ان (كلام العرب يصحح بعضه ويرتبط أوله باخره . . فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الاخر). ومنهم ابن فارس الذي يقول: (وانكر ناس هذا المذهب وإن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده . هذا ليس بشيء وذلك إن الذين رَووا إن العرب تسمى السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رَووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه فلذلك لم نكره).

الاضداد بين المضيقيين والموسعين :

يتفاوت المثبتون للأضداد في توسيع مفهوم اللفظ وتضييقه ، ومن الموسعين من بالغ في التوسيع ، كما ان من المضيقيين من بالغ في التضييق.

أ- اما الموسعون فيدخلون في الاضداد ما كان في اختلاف اللهجة ، ومن هؤلاء ابن السكيت الذي يقول: ان لمقت الشيء بمعنى كتبتة ومحوته من الاضداد مع أنه ينص على أن الأولى لغة عقيل والثانية لسائر العرب. وكذلك فعل الفارابي اللغوي في كلمات مثل الشعب بمعنى الجمع والتفريق . وكذلك فعل ابن الانباري في (لمق) وفي (سعد) التي تعنى (لها) في لغة اهل اليمن ، و (حزن) في لغة طيء . ومثل هذا ورد في كتاب ابي الطيب حيث ذكر أن

السدفة من الاضداد رغم نصه على انها في لغة تميم الظلمة ،
وفي لغة قيس الضوء .

ب- واما المضيئون فيخرجون النوع السابق من الاضداد ومن هؤلاء
ابن دريد الذي يقول في الجمهرة : (الشعب الافتراق ، والشعب
الاجتماع ، وليس من الاضداد انما هي لغة قوم) . وعلق
السيوطي على هذا بقوله : فأفاد بهذا ان شرط الاضداد ان يكون
استعمال اللفظين في المعنيين في لغة واحدة .

ت- واما المبالغون في التوسيع فكثيرون منهم ابو حاتم وقطرب
وابن الانباري . فقد اعتبر الاولان لفظ (مأتم) من الاضداد ، لأنه
يطلق على النساء المجتمعات ي فرح وسرور وفي غم وحزن
ومناحة . واعتبر ابن الانباري وغيره من الاضداد (فعليل) اذا ورد
بمعنى فاعل وبمعنى مفعول كالرعيب بمعنى الشجاع ، وبمعنى
الجبان . فالأول فاعل والثاني مفعول . وكذلك الرعيب بمعنى
الراب وبمعنى المربوب ، والامين بمعنى المؤتمن و المؤتمن .

ث- واما المبالغون في التضييق فمعظمهم من المحدثين ، وعلى
راسهم الدكتور ابراهيم انيس الذي يقول بعد أن ردّ كثير من كلمات
الاضداد: (نكتفي بهذا القدر في الحديث عن الاضداد لان ما روي
عنها من الشواهد يعوز اكثره النصوص القوية الصريحة . وحين
نحلل امثلة التضاد في اللغة العربية ونستعرضها جميعا ، ثم
نحذف منها ما يدل على التكلف و التعسف في اختيارها يتضح لنا
أنه ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العلمي الدقيق الا نحو
عشرين كلمة في كل اللغة .

الاضداد في القرآن الكريم:

يبدو أن جزءاً من اهتمام اللغويين بالتأليف في الاضداد يعود الى ورود بعضها في القرآن الكريم . وقد كشف عن ذلك صراحه ابو حاتم السجستاني الذي يقول في صدر كتابه الاضداد: (حملنا على تأليفه إنا وجدنا من الاضداد في كلامهم والقلوب شيئاً كثيراً فأوضحنا ما حضر منه ، إذ كان يجيء في القرآن الظن يقيناً وشكاً ، والرجاء خوفاً وطمعاً . وهو مشهور في كلام العرب.. فأردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال : (انها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون....) مدح الشاكين في لقاء ربح . وانما المعنى : يستيقنون . وكذلك في صفه (من أوتي كتابه بيمينه) من أهل الجنة (هاؤم اقرأوا كتابيه . اني ظننت) يريد : اني ايقنت . ولو كان شاكاً لم يكن مؤمناً . وأما قوله (قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا) فهؤلاء شكاك كفار) .

كما يبدو إن التعرض لألفاظ الأضداد القرآنية وتفسيرها كان بدافع الرد على الشعوبيين الذين كانوا يزرون بالعرب ويرمونهم بكل نقيصة ، ويرمون لغة العرب بانها خلت من الحكمة وافتقرت الى الدقة و البلاغة في اطلاق الالفاظ وتحديد المعاني ، ويتهمونها بالعجز عن التعبير بشكل واضح و محدد عما يراد منها . وهؤلاء هم الذين اطلق عليهم ابن الانباري في أضداده (أهل البدع والزيغ و الإزراء بالعرب) وكأن ابن الانباري أراد أن يثبت حقيقة الاضداد والوجوه التي تنصرف إليها ليجيب عن الحجج التي أبداها أهل البدع والزيغ فذكر (إن كلام العرب يصح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ...) .

